الإمام الشيرازي

ملامح الشخصية وسمات الفكر

حسن موسى الصفار

"الحمد لله رب العالمين اللهم صل

على محمد خاتم النبيين وتمام عدة

المرسلين وعلى آله الطيبين

الطاهرين، وأصحابه المنتجبين"

المحتويات

مدخل

المرجعية الشيعية:
الفقاهة والنزاهة

يمتاز مراجع الدين للمسلمين الشيعة بميزتين هامتين:

الأولى: التعمق والتبحر في علوم الشريعة وخاصة الفقه وأصوله.

الثانية: النزاهة الشخصية.

وتتشكل الميزة الأولى من خلال الاستغراق في الدراسة العلمية لسنوات طويلة تقاس بالعقود، حيث تقرأ في سير حياة المراجع أن أغلبهم توجه للدراسة من نعومة أظفاره وحداثة سنه، وأصبح مرجعاً وهو في مرحلة الكهولة إن لم تكن الشيخوخة، فالسيد أبو الحسن

الأصفهاني (١٢٨٤هـ-١٣٦٥هـ) بدأ دراسته العلمية وهو في نهاية العقد الأول من عمره، وبدأت مرجعيته بعد وفاة الميرزا محمد تقي الشيرازي سنة ١٣٣٨هـ، حينما أصبح عمره ٥٤ سنة، أي بعد ٤٤ سنة من الاستغراق في الدراسة العلمية، لكنه لم يصبح مرجعاً أعلى إلا سنة ١٣٥٥هـ بعد وفاة الميرزا حسين النائيني وقد ناهز عمره السبعين عاماً.

السيد محسن الحكيم (١٣٠٦هـ-١٣٩٠هـ) بدأ دراسته وهو في السابعة من عمره وظهرت مرجعيته بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني سنة ١٣٦٥هـ وعمره ٥٩ سنة، وقد مضى عليه في الدراسة العلمية ٥٢ سنة وأصبح مرجعاً أعلى سنة ١٣٨٠هـ وقد وصل عمره إلى ٧٤ عاماً.

السيد أبو القاسم الخوئي (١٣١٧هـ-١٤١٣هـ) بدأ دراسته في الثالثة عشر من عمره، وأصبح مرجعاً بارزاً سنة ١٣٩٠هـ، بعد ستين سنة من الدراسة والتدريس والاجتهاد.

ولا تكاد تجد في حياة أحد من المراجع أنه وصل إلى سدة المرجعية قبل أقل من أربعة عقود ٤٠ سنة استغرقها في الدراسة والبحث العلمي.

ولا ينقطع بعد تصديه للمرجعية عن مواصلة التدريس والبحث بل يبقى ذلك جزءاً أساسياً من برامجه في الغالب.

وعادة ما تكون تلك السنوات والأوقات مستغرقة مستهلكة في الاهتمام العلمي، حيث لا يزاحمها أي اهتمام آخر، حتى أن أكثرهم ينقطع خلالها حتى عن التواصل مع أسرته وبلده فهو يأتي إلى الحوزة العلمية في النجف أو كربلاء أو قم، ويبقى فيها، دون أن يفكر في العودة إلى بلاده أو زيارة أهله.. كما أن بساطة الحياة، ومنهج الزهد والتقشف، يوفّر عليه الوقت فلا يصرف منه على تسيير شؤون حياته وعائلته إلا القليل الضئيل.

ولا يكفي في الفقه الشيعي نيل مرتبة الاجتهاد والتمكن من الاستنباط للوصول إلى موقع المرجعية الدينية، بل يرى أكثر فقهائهم وجوب تقليد الأعلم، أي الأكفأ والأقدر علمياً.

وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار استقلالية الحوزة العلمية، وضعف المؤثرات الخارجية في أوساط علمائها وطلابها، حيث يتعاملون مع المسألة تعاملاً شرعياً دينياً فلا يمنحون ثقتهم في التقليد والشهادة بالأعلمية إلا لمن أثبت ذلك عبر التدريس والبحث والمناقشة فينتج من ذلك أن لا يصل إلى موقع المرجعية إلا من امتلك مستوى رفيعاً من الكفاءة والعمق العلمي.

أما الميزة الثانية فتتشكل من خلال كون المرجع منحدراً من أسرة علمية صالحة، وهذا وإن لم يكن شرطاً من شروط المرجعية والتقليد، لكنه حاصل في الأعم

الأغلب، فنادراً ما تجد مرجعاً لا ينتسب إلى سلسلة من الآباء والأجداد العلماء الفضلاء. مما يعني نشأته في أجواء العلم والصلاح، وتأثره الوراثي والتربوي بتلك النشأة.

كما أن طبيعة الحياة ضمن الحوزة العلمية تكرّس في وعي المنتمي إليها، أخلاقيات النزاهة ومبادئ الاستقامة، وخاصة من يتقدم في سيره العلمي، ويقترب من حياة العلماء الكبار والمراجع الأفذاذ، حيث يلحظ سلوكهم الملتزم، ويسمع منهم توجيهاتهم وانطباعاتهم عن أسلافهم الصالحين.

بالطبع لا يعني ذلك منح صك النزاهة والعدالة لكل من في الحوزة العلمية، فإمكانية الفساد والانحراف، وتغلغل العناصر السيئة، ونمو الحالات السلبية أمر وارد وملحوظ.

لكن الحديث هو عن قمة الهرم الحوزوي، طبقة الفقهاء المراجع، والذين يشهد تاريخهم بأنهم كانوا على درجة عالية من الطهر والنزاهة، فكم حاولت حكومات وسلطات أن تستدرج بعض المراجع إلى جانبها بالترغيب أو الترهيب، فباءت أغلب محاولاتهم بالفشل والخيبة.. وكم سعت بعض مراكز القوى الاقتصادية والاجتماعية إلى استمالة بعض المراجع لخدمة مصالحهم فاصطدم سعيهم بالرفض والنفور.

ومع ما يتمتع به المراجع من نفوذ ويكون تحت

تصرفهم ثروات من الحقوق الشرعية، إلا أن السيرة العامة لهم تتصف بالزهد والقناعة والعزوف عن مباهج الحياة وترفها وكمالياتها.

نشير هنا إلى أن الحديث هو عن الحالة العامة، التي لا تنفي وجود شواذ ضمن حدود ضيقة.

كما وقد تنتمي لجهاز وحاشية المرجع بعض العناصر غير المنضبطة قيمياً وسلوكياً، فتحدث من خلالها إشكاليات تختلف مع ما عليه المرجع من نزاهة والتزام.

وإذا كانت هاتان الميزتان تشكلان سمة غالبة لمراجع الشيعة، فإن المراجع يتفاوتون في قدراتهم القيادية، ومستويات تصديهم لقضايا الأمة وشؤونها، وهذا التفاوت ناشئ من اختلاف التوجهات الفكرية، وتحديد الوظيفة والتكليف في عصر غيبة الإمام المعصوم، ومن اختلاف الرأي والنظر في تقويم وتشخيص الواقع الخارجي، وكذلك من تفاوت المواهب والقدرات الذاتية.

فالكثير من المراجع يقتصرون على العطاء العلمي في مجال الفقه والأصول، وتنقيح وبلورة النظريات العلمية الفقهية والأصولية، وإصدار الفتاوى الشرعية للمقلدين، وما يتصل بذلك من المهام في إطار الحوزة والنشاط العلمي والإفتائي.

ويتحلى بعض المراجع بقدرات إدارية جيدة تمكنهم

من استيعاب أوضاع الحوزة العلمية وتطويرها في بعض الأحيان، وتقوّي ارتباطهم بجماهير الأمة وفاعلياتها، وتسمح لهم بصنع علاقة مناسبة مع القوى المحيطة من حكومات وطوائف أخرى.

وهناك مراجع يمتازون بأن لديهم مشروعاً وبرنامجاً لإصلاح واقع الأمة، والنهوض بها من حالة التخلف، لتضع أقدامها على طريق الحضارة والتقدم.

وبحمد اللّه فإن عصرنا الحاضر قد حظي ببروز عدة مراجع من هذا النمط الأخير، ممن يحملون همّ التفكير في تغيير واقع الأمة، ويكرسون حياتهم وموقعهم المرجعي لخدمة مشروع النهوض والإصلاح.

والإمام السيد محمد الشيرازي يأتي في طليعة هؤلاء المراجع الإصلاحيين إلى جانب الإمام الخميني والإمام السيد محمد باقر الصدر.

فإضافة إلى غزارة علمه، وسعة معارفه، وإضافة إلى زهده وتقواه، فهو مسكون بهمٍّ إنقاذ الأمة، عميق التحليل والملاحظة لأسباب تخلفها وانحطاطها، دائم التفكير في برامج ومناهج الخلاص والإنقاذ.

واهتمامه بـ(الكتاب) تأليفاً وطباعة ونشراً، إنما هو حلقة من منظومة فكرية، ومفردة من مشروع حضاري، كرّس الإمام الشيرازي حياته وجهوده في بلورته وخدمته.

وقد تعرفت على الإمام الشيرازي منذ ثلاثين عاماً تقريباً، وعايشته بعض الفترات فما جالسته مرة، إلا وكان يتحدث بجدّية وحماس عن مأساة تخلف الأمة، وضرورة التحرك السريع والعمل الدائم من أجل إنهاضها وإنقاذها. بل وحتى خلال المحادثات الهاتفية طالما أصغيت إلى توجيهاته ووصاياه في التذكير بالمسؤولية تجاه قضايا الإسلام والمسلمين.

والإمام الشيرازي حينما يكتب لا يستهدف عرض عضلاته العلمية، ولا الاستغراق في طرح النظريات المعرفية ومناقشتها، وإنما ليسهم بكتابته في توعية جماهير الأمة، وبلورة مشروع الإصلاح والتغيير، لذلك جاءت أغلب كتاباته لتصب في هذا الاتجاه، وحتى حينما يكتب أبحاثاً في الفلسفة أو الأصول أو الفقه، فإنه يتحين الفرصة أثناء الموضوع لطرح هموم الأمة، وقضايا الرسالة. وفي توجيهه للكتابة والتأليف يدعو المفكرين والكتاب إلى التركيز على معالجة مشاكل الواقع المعاش للأمة، وجذور التخلف والانحطاط الذي تعانيه، ومن ثم تناول أساليب العلاج وطرق الخلاص.

وكما أشرت فإن هذا الجانب يعتبر مفردة من مشروع إصلاحي متكامل يتبناه الإمام الشيرازي لإنقاذ الأمة، وإلى جانبه مفردات أخرى لا تقل عنه أهمية وخطورة، كمسألة تأسيس المؤسسات حيث يدعو سماحته

إلى المأسسة في مختلف المجالات، فكل شأن من الشؤون يجب أن تتشكل له مؤسسات ترعاه، وتجمع الطاقات والجهود التي تخدمه، وتحتل هذه المسألة حيزاً واسعاً من تفكير سماحته وكتاباته وتوجيهاته، كما أنه ومن خلال نشاطه العملي يقدم نموذجاً رائعاً في إنشاء المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، فقد تصدى بشكل مباشر لتشييد الكثير من المؤسسات في العراق والكويت وإيران، كما رعى وبارك إنشاء المئات من المؤسسات المختلفة في بقاع شتى من العالم.

فالإمام الشيرازي لم يكن مجرد مرجع ديني، وإن كان من أبرز مراجع الدين في هذا العصر.

ولم يكن مجرد شخصية دينية سياسية. وإن كان في طليعة القيادات الدينية المعاصرة ذات الاهتمام والتأثير السياسي، ولم يكن مجرد مفكر إسلامي ومؤلف موسوعي، وإن كان قد ضرب الرقم القياسي في عالم التأليف، حيث تجاوز إنتاجه الألف كتاب في مختلف مجالات المعرفة.

بل إن ميزته الأهم تكمن فيما يطرحه ويشكله من مشروع متكامل لنهضة الأمة، وبناء قوتها الحضارية.

وحتى نفهم حياة هذا الرجل لا بد وأن نتحدث شيئاً يسيراً عن الظروف التي عاش فيها وانطلق بحركته منها.

العـــائلة:

لقد انحدر من عائلة كريمـة كـان أفرادهـا يتحملـون مسؤولياتهم تجاه الـدين والأمـة، ومـا كـانوا مجـرد علمـاء وفقهاء ـوإن كانت هـذه الصـفة مهمـة ومتـوفرة فـيهمـ لكنهم إلى جانب ذلك كانوا يحملون راية الجهاد والـدفاع عن الدين والأمة، كالميرزا محمد تقي الشيرازي الـذي قـاد ثـورة العـراق الكـبرى عـام ١٩٢٠م ضـد الاسـتعمار البريطاني، واستنقذ العراق من هيمنته واحتلاله.

والمجـدد المـيرزا محمـد حسـن الشـيرازي (١٢٣٠ـ ١٣١٢هـ) الـذي واجـه محـاولات الإنجليـز للسـيطرة علـى اقتصاد إيران وصولاً إلى الهيمنـة السياسـية، عـبر احتكـار امتيـاز تسـويق التبـغ الإيرانـي، فأصـدر فتـواه الشـهيرة بتحريم التنباك، مما عبأ الشعب الإيرانـي لتحـدي الهيمنـة الأجنبية، وأسقط تلك المحاولات، فيما عرف بثورة التنباك. والميرزا عبـدالهادي الشـيرازي و المـيرزا مهـدي الشـيرازي واللـذين كـان لهمـا دور في مواجهـة المـد الشـيوعي في العراق، وغيرهـم من رجـالات أسـرته الـذين حملـوا رايـة الجهاد والدفاع عن الدين والأمة.

هذا الرجل نشأ في أحضان هذه العائلة ولذلك كان يتحسس مسؤوليته تجاه واقع الأمة والدين.

واقع الأمة وتعدد مجالات العطاء:

كانت الأمة تعيش تخلفاً عاماً في مختلف المجالات.. التخلف السياسي.. الاقتصادي.. العلمي.. الصناعي.. هذا التخلف كان يدفع بجماهير الأمة وأبناء الأمة ومثقفيها إلى الانبهار بالحضارة الغربية، والارتماء في أحضانها وتياراتها، ومن ناحية ثالثة كانت الحالة الدينية راكدة جامدة في الغالب، لم يكن هناك وعي بهذا التحدي، ولم يكن هناك نشاط على مستوى هذا التحدي، هذا السيد الجليل (الإمام الشيرازي) أدرك مسؤوليته و واجبه، كان وعيه يدفعه إلى تحمل المسؤولية، إضافة إلى الأجواء التي عاشها في عائلته، والتي كانت تحفزّه لتحمل مسؤوليته في الدفاع عن الدين والأمة، فقد كان يسمع من والده ووالدته وسائر أقربائه قصصاً ومشاهد وذكريات، عن نضالات وجهاد أعلام الأسرة، وتضحياتهم في سبيل الدفاع عن الدين وإنقاذ الأمة. ولذلك انطلق للعمل والجهاد، ولم يكن هو الوحيد في ساحة الإصلاح والجهاد والعمل الديني في هذا العصر، كان هناك في نفس الفترة ،وفي نفس المرحلة ،علماء وفقهاء آخرون، في إيران والعراق ولبنان، امتلكوا هذا الوعي الرسالي، وأحسوا بواجبهم ومسؤوليتهم، لكنهم بالطبع كانوا قلة قياساً إلى العدد الكبير من العلماء، ومن جموع الحالة الدينية بشكل عام.

عندما انطلق للعمل واجه ـ كبقية المصلحين ـ عقبات ومشاكل ومشاق من أبرزها: مخططات الاستعمار وعملائه.

فالاستعمار يحاول أن يسرق نفوسنا وأفكارنا وثرواتنا، ولكن ذلك يحدث في حالة استغفالنا وجهلنا وتخلفنا، فإذا كانت هناك حركة واعية، وأشخاص مدركون لمخططات الاستعمار، فإنهم يحبطون هذه المخططات، من ناحيته يقوم الاستعمار بمحاولة تعويق حركتهم، وتحطيم شخصياتهم، وتشويه صورتهم، ومنعهم من أن يقوموا بدورهم في الساحة،وهذا ما واجهه كل المصلحين و المجاهدين، والسيد الراحل عاش مثل هذه الحالة وعانى الضغوط بأساليبها المختلفة من قبل الاستعمار وعملائه الحاكمين و النافذين.

الحالة الدينية:

لم تكن الحالة الدينية السائدة تقبل بانطلاق حركة تجديدية تغيرية في المجتمع، ولذلك واجه المصلحون ضمن نفس الدائرة الدينية وفي مختلف البلدان، معارضة من بعض المتدينيين، وإنك حين تقرأ مذكرات المصلحين في تلك الفترة تجد ذلك جلياً.

فقد كتب الإمام الخميني ﵀ عن معاناته مع من

سماهم بالمتقدسين وذكرهم في العديد من خطاباته، وحين تقرأ حياة الشهيد السيد محمد باقر الصدر ﵀ تجد المعاناة واضحة جلية، وكذلك هو الوضع بالنسبة للإمام الراحل السيد محمد الشيرازي، من ناحية أخرى كان التخلف العام الذي يعيشه المجتمع يصنع العقبات أمام طريقه، لكنه انطلق بهمة قعساء، وعزم عظيم،وتصميم ثابت، وشق طريقه وعمل وجاهد في مختلف البقاع والمناطق.

البعض قد يناضل في منطقة معينة، وحينما ينتقل إلى أخرى يجد نفسه معفياً من مهمة النضال، أو قد يعمل في ظرف معين، فإذا ما تغير الظرف برر لنفسه عدم إمكانية العمل في الظرف الجديد، لكن الفقيد الراحل في أية منطقة حلَّ، وفي أي ظرف كان يعيش، ومنذ مقتبل عمره وحياته بدأ العمل الرسالي.. بدأ التحرك الجهادي، واستمر عليه إلى آخر لحظة من لحظات حياته.

عطاء حتى الساعات الأخيرة:

في شهر رمضان المبارك المنصرم كما أخبر القريبون منه كان من أكثر الأشهر حيوية ونشاطاً، وكأنه ينظر بعين الله، ففي العشر الأواخر من شهر رمضان طلب من جهازه أن يهيئوا له لقاءً مع المسؤولين الأفغان الموجودين في إيران، من علماء وقيادات وفعاليات، وأصرَّ على أن يتم

هذا اللقاء بأسرع وقت، وبالفعل فقد تم اللقـاء واجتمـع بهم إلى وقت متأخر من الليل وتحدث لهـم حـول الوضـع الجديد في أفغانستان، وقدّم لهم آراءه ونصائحه وتوجيهاته بهذا الخصوص، وفي ليلة أخرى طلب أن يجتمع بعدد من الشخصـيات القياديـة العراقيـة، وقـدم آراءه لهـم حـول القضية العراقية، والتطـورات الـتي تمـر بهـا، والتوقعـات المحتملـة، وفي ليلـة ثالثـة طلـب بعـض رؤسـاء الهيئـات واللجان الدينية والاجتماعية الموجودة في إيران، واجتمـع بهم اجتماعاً مفصلاً، وفي ليلة أخرى طلب الاجتماع مـع الفعاليات النسائية، والهيئات واللجان العاملـة في الحقـل النسوي، وجلس معهن، وقدم لهن توصياته وكان ذلك في آخر ليلة من ليالي شهر رمضان وهي ليلـة العيـد، وبعـد اجتماعه بهن بفـترة وجيـزة أصـيب بنزيـف في الـدماغ، ونقل إلى المستشفى، ودخل في غيبوبـة، ومنهـا انتقـل إلى الرفيق الأعلى.. حياته كلها حركة.. كلها جهاد، واسـتطاع خـلال هـذه الفـترة أن يعمـل و ينجـز، وأن يقـدم تجربـة متميزة.

مجالات متنوعة للعطاء:

ففي المجال العلمي كان لسماحة السيد المرجع عطـاء علمي فكـري غزيـر، حتـى أن الـرقم الـذي وصـلت لـه مؤلفاته تعتبر رقماً قياسياً، فليس هنـاك مؤلـف وصـل إلى هذا الرقم من عدد المؤلفات والكتابات.

ـ وفي المجـال التربـوي ربـى مجموعـة مـن الكـوادر والكفاءات، فقد تخرج من مدرسـته مجموعـة مـن العلمـاء الفقهاء، والخطباء والكتاب والمفكرين والعاملين في مختلف المجالات، جيش من الكوادر والكفاءات تربوا على يديـه، وفي رحاب مدرسته، وأصبح العديد منهم يقـود نشـاطات علمية واجتماعية كبيرة في ساحات مختلفة.

ـ وعلى صعيد بناء المؤسسات فقد بنى ورعى إنشاء المئات من المؤسسات والمشـاريع، مـن حـوزات ومكتبـات ومنظمات ولجـان وهيئـات ومستوصـفات طبيـة، وأنشـطة علمية، هذه المؤسسات والمشاريع الضخمة التي رعاهـا، و هذا التيار الجماهيري الضخم الذي أوجـده ونمـاه وربـاه.. يحتـاج الإنسـان إلى وقـت طويـل حتـى يحصـي الأنشـطة والمشاريع والمؤلفات والمؤسسات والتلامذة الذين أنـتجهم هذا الرجل في فترة عمره وجهاده.

سمات الفكر

بانتقال السيد الشيرازي إلى عالم الآخرة يبدأ فكره مرحلة جديدة، فإذا كانت كتاباته وأفكاره في أيام حياته تتأثر بوجوده الشخصي، حيث كان البعض قد أخذ موقفاً سلبياً من أفكاره وكتاباته بسبب وجوده الشخصي، إما حسداً أو منافسة أو لشبهة وسوء فهم، فإن انتقاله إلى جوار ربه ربما يفتح الباب لمرحلة جديدة لهذا الفكر، وهذا النتاج العلمي الغزير، أتوقع أن فكره سيأخذ مداه في الساحة الإسلامية، وهو بالطبع ملك لجميع الأمة، لا تحتكره فئة معينة، أصبح الآن فكراً ومدرسة وتراثاً ورصيداً لكل العلماء، ولكل المفكرين، ولكل المثقفين، ولكل العاملين.. ينفتحون عليه بدون حواجز، إذا كانت في حياته هناك بعض الحواجز، فبارتحاله الآن إلى الرفيق الأعلى انتهت هذه الحواجز، يدخل الإمام الشيرازي الآن مرحلة جديدة، وفكره يدخل حياة جديدة ستكون ـ بإذن

الله ـ أثمر وأنفع وأبقى من المرحلة الأولى التي عاشها، وكذلك ما سيجده من ثواب عظيم عند الله تعالى.

وما تضمنته بعض بيانات نعيه من قبل كبار العلماء والقيادات الدينية، من ثناء على جهوده الفكرية والعلمية، ومن دعوة لدراسة كتبه ومعارفه، هي من مؤشرات هذه المرحلة الجديدة، في انفتاح الساحة على فكر الإمام الشيرازي.

سمات فكره:

أولاً: الأصالة:

نعني بها ارتباطه بالمصادر الإسلامية، فآراؤه.. وأفكاره.. ونظرياته لم تتأثر بهذا التيار أو ذاك من هنا أو هناك، وليست استحسانات أو استذواقات، وإنما لديه ارتباط عميق وثيق بالينابيع الإسلامية، ولعلي لا أبالغ إذا قلت: إن سعة اطلاعه على النصوص الإسلامية ومداومته على مراجعتها لا نظير لها في عالم الفقهاء والعلماء.

ففي مجال القرآن الكريم عدا عن حفظه للقرآن، تجده يجتهد في مهمة التفسير حتى لقد فسر القرآن عدة مرات، في كل مرة يفسر القرآن تفسيراً كاملاً ومختلفاً عن التفسير الآخر، وذلك انطلاقاً من أن القرآن الكريم ـ كما ورد في حديث الإمام علي الرضا عليه السلام « هو في كل

زمان جديد، وعند كل قوم غض إلى يوم القيامة»

فقد كتب تفسيراً للقرآن تحت عنوان (تقريب القرآن إلى الأذهان) أيام كان في كربلاء، وقد طبع في ثلاثين جزءاً، كما كتب تفسيراً موضوعياً للقرآن الكريم في عشرة مجلدات، وكتب تفسيراً مختصراً (توضيح القرآن أو تسهيل القرآن) وكان لديه في الكويت درس ليلي في تفسير القرآن استمر طوال فترة وجوده في الكويت، أي حوالي تسع سنوات.

إضافة إلى مجموعة من الكتب والبحوث التي كتبها حول القرآن الكريم مثل: (الفقه: حول القرآن الكريم) و (متى جمع القرآن) و (بيان التجويد) وغيرها.

وفي مجال الروايات تجد له اطلاعاً واسعاً جداً على الروايات والأحاديث الواردة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام وذلك واضح في كتاباته وخطاباته، واستدلالاته الفقهية.

ـ وفي وقت مبكر من حياته جمع الوسائل والمستدركات في كتاب واحد يقع في أربعين جزءاً طبع منها خمسة مجلدات في القاهرة.

ـ كما باحث الكثير من كتب الحديث كبحار الأنوار مع بعض الفضلاء، وهو في منهجه يقترب من منهج المحدثين، حيث يميل إلى القبول بكل ما ورد في الكتب الأربعة، ومن النادر جداً أن يرد رواية من

الروايات، بـل تجـده يوجـه الروايـات ويؤولهـا ويجتهـد في التوفيق بينها، وتجد ذلك واضحاً في كتبه، ككتاب الآداب والسنن، وفي مختلف أبواب كتاب الفقه.

ـ وقـد شـرح نهـج البلاغـة في كتـابين منفصـلين، أحدهما مطبـوع وهـو (توضـيح نهـج البلاغـة) في أربعـة مجلدات والآخر موسع لم يطبع.

ـ كما شـرح الصـحيفة السـجادية شـرحاً مختصـراً مطبوعاً، وشرحاً آخر موسعاً يقع في ثلاثة مجلدات لم يطبع بعد، وألف كتاباً يقـع في عشـرة مجلـدات شـرح فيـه كـل الأدعية والزيارات الواردة.

ولكثرة مراجعته ومتابعته للروايات والأحاديث تجـد لديه حالة من الحضور الـذهني لكـل النصـوص، وذلـك واضح من كثرة استشهاداته في كتبه وخطاباته.

إنه لا يكاد يتحدث في موضـوع أو يطـرح فكـرة إلا ويستشهد لها بنص ديني من آية أو رواية، فهو ينطلـق مـن النصوص الشرعية في آرائه وأطروحاته.

وفي مجال السيرة والتاريخ لديه عدة كتب في السـيرة النبوية، وكذلك سـيرة الأنبيـاء و الأئمـة علـيهم السـلام تصل إلى أكثر من سـتين كتابـاً بمختلـف الأحجـام، وقـد سمعت عـدداً مـن الخطبـاء الكبـار الـذين أعـرفهم أنهـم يسمعون من سماحة السيد نوادر وقضايا ووقـائع تاريخيـة،

حول حياة الأئمة، أو حول مصائب الأئمة فيتعجبون من أين يأتي بها، وأتذكر حين كنت في الكويت كان السيد رحمه الله يخطب في مسجده في كل جمعة، وعندما تمر مناسبة من المناسبات كمناسبة عاشوراء.. كان الناس يستمعون إلى الخطباء ورواة المقتل ثم يأتون تحت منبره، فنتساءل: ما الذي سيأتي به السيد من جديد للمستمعين بعدما سمعوا رواية المقتل بتفاصيله!

وقد تعجبت من خطاب سماحته، حيث ذكر وقائع من مقتل الحسين جعلت الحضور ينهمكون في البكاء لفترة طويلة، ولأول مرة نحن نسمعها!!

توجهت له مع مجموعة من الخطباء متسائلين عن مصدر هذه الروايات، فقال: راجعوها في كتاب كذا وكتاب كذا.. وذكر لنا عدة مصادر، وقد وجدنا تلك الروايات في مصادرها كما ذكر لنا سماحته.

وفي هذا السياق كان له اطلاع واسع على آراء الفقهاء في مختلف مسائل الفقه، وقد طلب مني أحد الفقهاء المعاصرين أن أوفّر له موسوعة الفقه الضخمة، و قدمتها له، وبعد فترة من الزمن سألته عن وجهة نظره حول الكتاب، فقال: ما أدهشني هو إحاطة السيد بالآراء، ففي كل مسألة يبحثها يذكر كل الآراء الواردة في الساحة الفقهية حول المسألة، ويناقشها رأياً رأياً حتى بعض الآراء

النادرة الشاذة يذكرها.

هذا الاطلاع الواسع على النصوص من آيات وروايات، وعلى آراء الفقهاء واستحضارها عند كل فكرة أو مسألة، هو مصدر وأرضية الأصالة في فكر سماحة الإمام الراحل.

ثانياً: الانفتاح:

كان لديه انفتاح عجيب على العصر، وعلى مختلف الثقافات، كان مواظباً على استماع الأخبار ومن مختلف الإذاعات، كما كان مواظباً على قراءة الصحف والمجلات والكتب المختلفة، وإنك لتتعجب من هذا النهم العجيب للمطالعة، بل وسرعة المطالعة.

كان يوصي كل من يسافر من تلامذته و أصدقائه القريبين أن يحضر له آخر ما صدر من كتب ومؤلفات، وكان يعتبر الكتاب أفضل هدية تقدم له، ولا أزال أتذكر أنه ذات مرة رأى عندي كتاب (خريف الغضب) وهو في أربع مائة صفحة تقريباً للكاتب المصري محمد حسنين هيكل فقال: هذا كتاب جديد. قلت: نعم، قال: أحب أن أطلع عليه،قلت: غداً أحضر لكم نسخة منه، قال: أطلع عليه هذه الليلة وأرجعه لك غداً. في اليوم التالي أحضره معه، وبعد نهاية درسه الفقهي بدأ يتحدث عن الكتاب، وأنه أحسن في هذه النقطة، واشتبه في تلك المسألة،

وعرض مختلف جوانب الكتاب.. لخص الكتاب في حديثه معنا في ما يقرب من نصف الساعة.

كما كان يجيد الاستفادة من أحاديث الناس، كان لديه في الكويت برنامج زيارات بعد صلاتي المغرب والعشاء، وكنا نصحبه في بعض زياراته، فكان حين يلتقي برجل قد عاد من اليابان مثلاً يسأله كيف وجدت تلك البلاد؟.. كيف هو وضعهم الديني؟.. وضعهم السياسي.. الأخلاقي..

ماذا لفت انتباهك لديهم؟ هل مررت على مكتباتهم؟..

فيأخذ معلومات بأكبر قدر ممكن، ثم يستفيد منها في خطاباته وأحاديثه يستشهد بما سمع من معلومات عن تلك البلاد..

يجمع مختلف المعارف، ومختلف العلوم، ويوظِّفها، ويستنتج منها، ويستثمرها لصالح الأفكار والدعوة التي يريد طرحها.

كان لديه انفتاح على مختلف جوانب الحياة.. ومتابعة للأحداث والمستجدات على لساحة الإسلامية والعالمية.

ذات مرة كنا متوجهين من طهران إلى قم لزيارة سماحته ولم نكن قد سمعنا الأخبار، وعندما التقينا به وجدناه في وضع من التحفّز والتفاعل وأخذ يسألنا

متعجباً: ألم تسمعوا الأخبار؟!!.. لقد سقط جدار برلين!!

وهل تعلمون ماذا يعني سقوط جدار برلين؟.. إنه يعني انتهاء الحرب الباردة.. وانتهاء المعسكر الشرقي، وخضوع العالم لهيمنة واحدة، وبدأ يتحدث عن تاريخ جدار برلين وكيف أقيم؟ وماذا يعني سقوطه؟ وأخذ يعطي تحليلاته حول الحدث، فاعتبره مفصلاً تاريخياً، ومنعطفاً وتحولاً في تاريخ العالم، كما حدث بالفعل، بينما لم نكن نشعر بأهمية الحدث بنفس المستوى الذي كان لديه.

ثالثاً: الاهتمام بالبرمجة:

نحن في حاجة إلى أفكار ونظريات، وإلى جانب ذلك نحتاج إلى ترجمة تلك الأفكار والنظريات إلى برامج، والكثير من الناس يقبلون الأفكار ويستحسنونها، فمثلاً: نقول بضرورة الوحدة وعدم التفرقة في المجتمع، والجميع يقبل هذه الفكرة، لكن ما هو البرنامج لتطبيق هذه الفكرة؟

ونطرح مثلاً أن الشباب يعيش حالة من الضياع والفراغ ولا بد من استيعابهم وهي فكرة جميلة.. لكن ما هو البرنامج لتطبيق هذه الفكرة.. وما هي الآلية؟

في بعض الأحيان تتوفر الفكرة، وتتوفر النظرية،

ولكن المشكلة الأهم هي البرمجة والآليات..

لقد كان سماحة السيد قدس سره متميزاً في وضع البرامج.. لا يأتي بفكرة إلا ويصحبها ببرنامج ومشروع عمل، وترى ذلك واضحاً في كتبه وأحاديثه في مختلف المجالات

ـ منذ الأيام الأولى لتصديه للمرجعية ألف كتاباً اسمه (إلى وكلائنا في البلاد) وهو مطبوع عدة طبعات، يحتوي الكتاب على ثمانين مادة يعتبرها سماحته برنامجاً عملياً لوكيل المرجع في مختلف جوانب حياة الناس.

ـ في أيام الحرب الظالمة المفروضة على الجمهورية الإسلامية في إيران ومع القصف الذي أصاب مدينة قم انتقل سماحة السيد إلى مدينة مشهد وأخذ يتأمل أوضاعها وموقعها وما يحيط بها وأهميتها، حيث يقصدها الزائرون بالملايين فلا بد وأن يكون لمشهد دور كبير، ونتيجة هذا التأمل وهذا التفكير ألف كتاباً حول مدينة مشهد بعنوان (مشهد والحضارة الإسلامية) وضع فيه مقترحات لتحويل مدينة مشهد إلى مبعث للحضارة الإسلامية.

ـ وحينما ذهب إلى الحج قبل أكثر من أربعين عاماً، ورأى أوضاع مكة المكرمة، والمشاعر المقدسة في موسم الحج، و كان يستمع إلى انطباعات الحجيج حول الحج ومشاكله، فخرج ببرنامج حول تطوير أوضاع الديار

المقدسة ومعالجة أحكام مسائل الحج بعنوان (لكي يستوعب الحج عشرة ملايين).

ـ دعا إلى تكوين الحركات والتنظيمات الإسلامية، وقدم برنامجاً عملياً في طريقة تكوين هذه التنظيمات وإدارتها.

ـ و قدم برنامجاً للجاليات التي تعيش في البلاد الأجنبية وذلك في كتاب بعنوان (نجاة الغرب) ويرى فيه أن الغرب أفضل أرضية للعمل الديني والإسلامي، كما تؤكد ذلك الكثير من الوقائع، وفي أثناء لقاءاته مع الفعاليات التي تعيش في الغرب كان يؤكد على العمل بحيث يتحول الدين الإسلامي ـ بعد خمسين سنة ـ إلى الدين الأول في تلك البلاد.

ومن ضمن البرامج التي يضعها سماحته لتحقيق هذا الهدف (برنامج الخدمات الإنسانية) يدعو فيه الجاليات المسلمة إلى عدم الاكتفاء ببناء المساجد والحسينيات بل التوجه إلى المشاريع الخدماتية لغير المسلمين كإنشاء المستشفيات المجانية، وتكوين الجمعيات التي تهتم بتزويج العزاب، فإذا كنا نريد أن نؤثر على الغربيين فلابد من إنشاء مشاريع تقدم الخدمات لهم، وقد كانت الإرساليات التبشيرية تستخدم هذا الأسلوب في التبشير بالمسيحية.



ملامح الشخصية

تحتل الصفات النفسية، والعـادات السـلوكية، لأي قائد من القادة، دوراً هاماً، ومكانـة أساسـية، في تشـكيل شخصيته القيادية، وتجربته العلمية. فهي التي تحدد حجـم تأثيره، ومساحة فاعليته، وهي التي توجـه طريقـة تعاطيـه وتعامله مع الظروف والتحديات. كمـا ترسـم صـورته في أذهان معاصريه وذاكرة التاريخ.

ويمكن القول أن الصـفات النفسـية أكثـر تـأثيراً في حياة الإنسان من الكفاءات العلمية والعملية، لأنهـا هـي الـتي تدفعـه أو تقعـد بـه عـن نيـل تلـك الكفـاءات واكتسابها، فإذا امتلك صـفات نفسـية جيـدة، فسـتحفزه وتؤهله لتنمية ذاته وتطوير قدراته، أما إذا سـيطرت عليـه صفات سيئة، فستهوي به إلى حضيض التخلف والهوان.

وبالصـفات النفسـية الإيجابيـة يسـتطيع الإنسـان

استثمار كفاءاته وتوظيفها بالشكل الأفضل، بينما قد تصبح كفاءاته مهدورة ضائعة أو وبالاً عليه حين تحكم نفسه وسلوكه عادات مشينة.

وفي حديث القرآن عن مؤهلات الإمامة والقيادة يبدأ بذكر ما يرتبط بالملكات النفسية، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (سورة السجدة آية٢٤). فقد استحقوا موقع القيادة والإمامة حين تجسدت فيهم صفة الصبر بكل أبعادها ومعانيها ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ ثم أعلى درجات الإيمان وهي اليقين ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

كما أننا نجد تركيز النصوص والأحاديث الدينية على محورية الأخلاق والتي تعني السجايا النفسية والعادات السلوكية، وأنها هي التي ترفع مقام الإنسان عند الله وعند الناس بحسنها، وتضعه بسوئها. روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال: «رب عزيز أذله خلقه، وذليل أعزه خلقه» [1] أي أن من يمتلك مقومات العز والرفعة قد لا يتمتع بها، لوجود انحراف في صفاته النفسية والسلوكية، تمنعه من الاستفادة من تلك المقومات وتوظيفها بالشكل الصحيح. بينما قد يتقدم ويتفوق

---

(1) المجلسي: محمد باقر/ بحار الأنوار، ج٦٨ ،ص٣٩٦، مؤسسة الوفاء-بيروت/ الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

إنسان كان في موقع ذل وضعف، لتحليه بصفات طيبة دفعته نحو الرقي والعز.

الإمام الشيرازي علمه وجهاده:

قد نقرأ الإمام السيد محمد الشيرازي ﵀ في البعد العلمي من شخصيته،فنجد فيه ذلك العالم المتبحر، الواسع الإطلاع على علوم الشريعة، ومعارف الحضارة، والذي مارس الدرس والتدريس، والمطالعة والكتابة، والبحث والتفكير، منذ حداثة سنه حتى اليوم الأخير من حياته. ونجد فيما طرحه من آراء وأفكار، موارد كثيرة من الابتكار والإبداع، والتطوير والتجديد، في ميدان الفقه والفكر الإسلامي.

كما نلحظ غزارة ووفرة هائلة في إنتاجه العلمي والمعرفي حيث حقق رقماً قياسياً لم يبلغه أي مؤلف في مجال الكتابة والتأليف.

وقد ندرس البعد الجهادي في حياته، فنراه ذلك العالم المجاهد، الذي يتدفق غيرة على الدين، وحماسة في الدفاع عنه، والذي حمل آلام الأمة وهمومها بين جنبيه منذ بواكير وعيه وإدراكه، وحتى الساعات الأخيرة من عمره، لم يتوان ولم يهدأ ولم يتراجع، رغم اختلاف الظروف التي مر بها، والأوضاع التي عايشها، ورغم اشتداد الضغوط عليه من هذه الجهة أو تلك.

لقد بدأ نضاله السياسي وهو دون العشرين من عمره، حين كان العراق في العهد الملكي، ولما سقط الحكم الملكي سنة ١٩٥٨م كان في الثلاثين من عمره، واستمر في العهد الجمهوري حكم الشيوعيين والقوميين والبعثيين في العراق وهو يحمل لواء الجهاد ضد الانحراف عن منهج الإسلام، ومصادرة الحقوق والحريات.

ولم يكن جهاده السياسي منحصراً في القضية العراقية، بل كان له دور طليعي في تأييد الثورة الإسلامية في إيران منذ انطلاقتها سنة ١٩٦٣م وحتى انتصارها عام ١٩٧٩م حيث انتقل من الكويت إلى (قم) ليسهم بآرائه و أطروحاته ومواقفه في دعم مسيرة التجربة الإسلامية الوليدة وترشيدها، ولم يمنعه التيار العام والحماس العارم، من إبداء ملاحظاته الناقدة، وطرح آرائه الجريئة، حرصاً منه على مصلحة الإسلام، وإخلاصاً لمستقبل الأمة.

كما أن مواقفه في نصرة القضية الفلسطينية، ومساندة جهاد الشعب الأفغاني، وسائر قضايا المسلمين والمستضعفين، واضحة ومشهودة، من خلال كتاباته وبياناته وخطاباته ولقاءاته و تحركاته.

إنه دائم التَّحفز لإنهاض الأمة من أجل نيل استقلالها وحريتها، وتحقيق وحدتها وكرامتها، ولمواجهة محاولات الهيمنة الاستعمارية الاستكبارية، عبر نشر الوعي

التحرري، وثقافة المسؤولية، وعبر تعبئة الطاقات، وشحذ الهمم، وتربية القيادات الرسالية، وتشجيع الحركات والمنظمات والمؤسسات العاملة، وإعلان الدعم والتأييد لكل القضايا العادلة.

البعد الأخلاقي:

هناك بعدٌ آخر له أهميته القصوى في شخصية الإمام الشيرازي وسيرته، وهو البعد الأخلاقي، ونقصد به السمات الشخصية التي اتصف بها، وانطلق منها في حركته الرسالية، والتي مكنته من تحقيق هذه الإنجازات الضخمة في الميادين المختلفة، وصنعت له مكانته المميزة المرموقة، وتأثيره الفعّال.

ودراسة هذا البعد في شخصيته يقدّم للعاملين تجربة غنية ثرية، تنفعهم في بناء ذواتهم، وتكميل شخصياتهم، وتعينهم على تحمّل مسؤولياتهم الرسالية الاجتماعية.

ونسلط الأضواء هنا على بعض تلك السمات الهامة في شخصية الإمام الشيرازي ﵀. حينما يدرك الإنسان وظيفته ومهمته في الحياة، وحينما يعي دوره ومسؤوليته، فإن عليه أن يجعل ذلك أولوية في حياته، ومحوراً لجهوده واهتماماته.

ولأن الاسترسال مع متع الحياة وملذاتها، والانسياق خلف إغراءات الراحة والرفاه، يستهلك بطبيعته

الاستدراجية القسط الأكبر من اهتمام الإنسان ووقته وجهده، فإن الأولياء العارفين، والرساليين المخلصين، يجاهدون في أنفسهم هذه التوجهات، ليوفروا أكبر قدر من وقتهم وطاقتهم، صوب هدفهم الأساس، وغايتهم السامية. يقول الإمام علي عليه السلام: «فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات»[1].

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن كونهم في موقع النموذج والقدوة، يستلزم منهم أن يكونوا مصداقاً للقيم والمثل التي يبشّرون بها. يقول الإمام علي عليه السلام: «أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟»[2].

والإمام الشيرازي باقتفائه لسيرة أجداده من الأئمة الطاهرين عليهم السلام وبتتلمذه في مدرستهم الإلهية كان يلتزم بالزهد، التزاماً صادقاً، لا تكلّف فيه، إنه يؤمن بضرورة البساطة في العيش، ويدعو إلى ذلك في كتاباته ومحاضراته، ويرى أن التفنن في أساليب الرفاه، أدى إلى تعقيد شؤون الحياة. ويؤكد في توصياته لعلماء الدين والعاملين في الحركة الإسلامية على أهمية هذه الصفة.

---

(1) الموسوي: الشريف الرضي/ نهج البلاغة – كتاب٤٥.

(2) المصدر السابق.

يقول رحمه الله:

« الواجب على القائمين بالحركة أن يتزهدوا في الدنيا، فإن الزهد يوجب أولاً كثرة العمل، وثانياً التفاف الناس.. لنفرض أن قائداً كان دخله السنوي ألف دينار، فإذا كان زاهداً في ملبسه وسائر شؤونه، صرف من هذا الألف مئة، وأبقى التسعمائة لأجل الحركة، بينما إذا كان إنسان راغباً صرف كل الألف لنفسه »[1].

فزهده نابع من رؤيته وقناعته، ولأنه منشغل بقضايا الدين والأمة، فهو يوفر وقته وإمكاناته لخدمة أهدافه الرسالية.

عاش في الكويت ثمانية أعوام (١٣٩١ـ١٣٩٩هـ) والتف حوله الأثرياء ورجال الأعمال إضافة إلى الشباب وعامة الناس، وواضح أن مستوى المعيشة هناك متقدم، ووسائل الرفاه متوفرة، لكنه رفض أن يمتلك في الكويت داراً أو عقاراً، وحينما قدمت له دار واسعة لتكون سكناً له ولعائلته، أوقفها مدرسة دينية، وسكن في شقة صغيرة بنيت ملحقاً للمسجد الذي يصلي فيه على أن تكون وقفاً يسكنها إمام الجماعة في المسجد.

---

(1) الشيرازي: السيد محمد الحسيني/ السبيل إلى إنهاض المسلمين ص١٠٠ الطبعة ١٩٩٤م – مؤسسة الفكر الإسلامي – بيروت.

وأذكر أني مع بعض الأصدقاء زرناه في غرفة متواضعة الأثاث، لفت نظرنا فيها سرير معلق في منتصف الجدار، فسألناه عنه فأجاب ﵀: إن هذه الغرفة يأتي فيها الأطفال ويلعبون، وهي مكان بحثي وكتابتي، فعملت هذا السرير المعلّق، لأجلس عليه مع كتبي وأوراقي بعيداً عن عبث الأطفال.

وعندما أقام في مدينة (قم) اتخذ له مسكناً متواضعاً وأتذكر أنه ﵀ عانى في السنوات الأولى من آلام المفاصل (الروماتيزم) بسبب رطوبة المنزل، وبرودة الطقس، فتحدث معه الكثيرون، وأنا واحد منهم حول تركيب تدفئة مركزية للمنزل، لكن المنطقة آنذاك لم تصلها تمديدات الغاز الطبيعي، ولأن التدفئة المعتمدة على (المازوت) مرتفعة الكلفة، فإنها غير متوفرة لأكثر بيوت تلك المنطقة، فرفض سماحته أن يتميّز على جيرانه من الطلبة، بتدفئة بيته مركزياً، إلى أن وصلت تمديدات الغاز لتلك المنطقة، وتوفرت التدفئة للبيوت المحيطة ببيته،حينها سمح بوجودها في منزله.

زوّج أكثر أولاده وبناته وكنا قريبين منه، وما كنا نحسّ بأي حركة في مراسيم زواجهم، لأن سماحته كان يصرّ على البساطة، وعدم القيام بأي مراسيم إلا بمقدار الاستحباب الشرعي، والذي يتحقق بدعوة مجموعة

محدودة على مائدة بسيطة، ولا يكاد يعرف الكثيرون عن زواج ابن الإمام المرجع، إلا فيما بعد وكخبر عادي عن أمر قد حصل قبل أيام.

وقبل سنوات استقر اثنان من أبنائه في دمشق بجوار العقيلة زينب عليها السلام حيث الحوزة العلمية الزينبية، ومع أن أكثر زملائهم وتلامذتهم من العراقيين والخليجيين قد تملكوا بيوتاً لسكنهم، إلا أن أبناء المرجع لم يفعلوا ذلك، حتى حينما بنى بعض التجار الكويتيين عمارة، وخصصوا بعض شققها لسكن أبناء سماحة السيد مع عوائلهم، فإن توجيهات الإمام الشيرازي منعتهم من ذلك، وطلب منهم سماحة السيد أن يتركوها لسائر الطلبة، ويبقوا هم في بيوت مستأجرة.

كان يعيش حياة البساطة في سكنه وأثاث منزله وطعامه ولباسه وسائر شؤون حياته.. كما شاهدناه وشاهده كل من اقترب منه، وكان زهده حالة طبيعية لديه دون أي تكلف.

الطموح وعلو الهمة:

لوعيه بعمق التحديات والأخطار التي تحيط بالإسلام والأمة، ولأنه يراقب تطورات الأحداث وأوضاع الشعوب والمجتمعات بيقظة وتأمل، ولإيمانه بقدرات الإنسان وما ينطوي عليه من طاقات، ولثقته المطلقة بمبادئ

الدين وتعاليمه.. لذلك كان الإمام الشيرازي محلّقاً دائماً في طموحاته وتطلعاته.. وقد يراه البعض خيالياً مثالياً فيما يطرح من مشاريع ومقترحات.. وخطط وبرامج.

لكنه يبرهن على إمكانية تحقيق أطروحاته بالإمكان العقلي، وبالتوجيه الديني ـ الذي لا يأمر بالمحال ـ وبإنجازات الأمم والعظماء في غابر الزمان وحاضره، كما يقدم بسيرته العملية وإنجازاته الفعلية دليلاً على إمكانية تحقيق ما كان يُستبعد تحقيقه.

كان يرفض منطق: (ما يصير) و (ما يمكن) ويرى أنه منطق الكسالى والعاجزين والمنهزمين.

ـ في كربلاء ـ العراق، وقبل أربعين سنة تقريباً، حيث تواضع الإمكانات، وصعوبة الظروف، كان يؤكد ويؤكد على ضرورة طبع الكتب الدينية بأرقام كبيرة (١٠٠ ألف نسخة) مثلاً، وكان البعض يستعظمون هذا الرقم ويرونه خيالياً، لكنه كان يؤكد حتى حقق ذلك بالفعل، فطبعت بعض الكراسات والكتيبات برقم ١٠٠ ألف نسخة وأكثر.

وحين بدأ الشيخ عبد الزهراء الكعبي يقرأ مقتل الإمام الحسين في يوم العاشر من محرم في صحن الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء، فتحتشد الجماهير لاستماعه، لطريقته المتميزة المؤثرة، أصر الإمام الشيرازي على ضرورة

السعي والتحرك لإذاعة تسجيل المقتل من إذاعة بغـداد، ليستمع له العالم العربي كله، واستبعد الكثيرون إمكانيـة تحقيق ذلك، لكنه استمر في التأكيد والإلحاح والتحـريض حتى تحقق ما كان مستبعداً، وأذيع تسجيل المقتل صـبيحة العاشر من المحرم سنة ١٣٧٩هـ وأعيد بثه مسـاءً اسـتجابة لطلبـات آلاف الـراغبين، وأصـبح برنامجـاً ثابتـاً للإذاعـة العراقية في اليوم العاشر من المحـرم كـل عـام إلى مـا قبـل التطورات الأخيرة في العراق.

وعنـدما اسـتقر سماحتـه في الكويـت سـنة ١٣٩١هــ دعـا إلى تأسـيس حـوزة علميـة دينيـة، فعـارض دعوتـه الكــثيرون مــن أصــدقائه، علــى أســاس أن أجــواء الكويـت وظروفهـا غـير مهيـأة لـذلك، لكنـه اسـتمر في طـرح فكرتــه، وعمــل علــى تحقيقهــا،حتى قـام صـرح (مدرســة الرســول الأعظــم ﷺ)، وتوافــد إليهــا الطـلاب مـن أمـاكن مختلفـة، وكنـت ممـن انضـم إليهـا واسـتفاد منهـا، حيـث تشـكلت فيهـا حركـة علميـة تربويـة، خرّجـت عـدداً طيبـاً مـن العلمـاء والخطبـاء والمفكرين والكتاب، من بلدان مختلفة.

وعنــدما يتحــدث عــن إعــادة توحيــد الأمــة الإسـلامية الممزقـة سياسـياً إلى خمسـين دولـة، وأنهـا يجـب أن تصـبح في ظـل دولـة واحـدة، ويؤكـد علـى ضـرورة ذلـك، وإمكانيـة تحقيقـه، وألـف كتابـاً تحـت عنـوان (إلى

حكومة ألف مليون مسلم) وكتاباً آخر تحت عنوان (الوصول إلى حكومة واحدة إسلامية). كما طرح هذه الفكرة والبرنامج الذي يقترحه لتنفيذها في العديد من كتبه الأخرى.. ويستشهد لذلك بتوحيد القبائل العربية على يد رسول الله ﷺ بعد أن كانت متحاربة متصارعة، وبسعة الدولة الإسلامية واستيعابها للأمة إلى نهاية حكم العثمانيين، ويستشهد بدولة الهند الواحدة، مع تنوع الأديان واللغات والقبائل فيها، وكذلك الصين، وباتجاه أوربا نحو الوحدة، فما الذي يقعد بالمسلمين عن بناء كيانهم الموحد الواحد؟

وفي مجال اهتمامه بالتنمية الثقافية، حيث كان يدعو إلى طبع ثلاثة مليارات من الكتب، ويقول في مقدمته: (ثلاثة مليارات من الكتب، حيلة العاجز، وأقل الإيمان، لمن يريد إنقاذ المسلمين من هذا السقوط الذي لا مثيل له في تاريخ الإسلام الطويل)[1].

وأذكر أني زرته يوماً وقدمت له مجلة جديدة أصدرناها، فرحبّ وأبدى إعجابه بها، ثم سألني: كم نسخة تطبعون من المجلة؟ وبكم لغة؟ قلت: نطبع منها ثلاثة آلاف نسخة باللغة العربية فقط، ونوزعها في مختلف المناطق.

---

(1) الشيرازي: السيد محمد الحسيني/ ثلاثة مليارات من الكتب ص١١.

فتحدث لي مطولاً عن ضرورة رفع الرقم إلى عشرة آلاف نسخة، وضرورة الإسراع بترجمتها إلى اللغات الأخرى كالفارسية والإنكليزية، واستشهد بنصوص وأحاديث وأرقام وإحصائيات لتأكيد فكرته.

اتصلت بسماحته تلفونياً ذات مرة، وأبديت له ارتياحي وإعجابي بالموقع الذي باسم سماحته على الإنترنت، فأجابني سريعاً: اتصل بالإخوة المشرفين على الموقع وشجعهم على أن يجعلوه بأربعين لغة، فماذا نصنع بلغتين أو ثلاث فقط؟

هكذا كان ﵀ دائم التحفيز والتطلع، عالي الهمة والطموح.

شجاعة الرأي والموقف:

يعاني المفكرون والمصلحون في العالم الثالث، من شدة الضغوط التي تحيط بهم، فتمنعهم من إبداء آرائهم، وطرح أفكارهم، ومن اتخاذ المواقف المناسبة. فهناك ضغوط الحكومات، وضغوط التيارات السائدة في المجتمع، وضغوط مراكز القوى والتأثير، وضغط الحواشي والأتباع.

وقد عانى الإمام الشيرازي كمصلح ومفكر من وطأة هذه الضغوط، من جهاتها المختلفة، وبأشكالها العديدة، لكنه واجهها بشجاعة وثبات، وأصر على التمسك بحقه

في التعبير عن رأيه، واتخاذ الموقف الذي يراه مناسباً، مستعداً لدفع باهض الأثمان، وتحمّل أقصى المضاعفات.

ونشير إلى بعض تلك المواقف الشجاعة:

١ـ طروحاته ومواقفه الداعية إلى الالتزام بالإسلام في ظل الحكم البعثي العراقي، ومعارضته لمصادرة الحريات الدينية والسياسية، وقيادته لعدد كبير واسع من الأنشطة الإسلامية مما يعتبره النظام العراقي تحد لسلطته وسياسته.

وكان من نتائج ذلك اعتقال أخيه الشهيد السيد حسن الشيرازي، وتعذيبه بقسوة ثم اعتقال مجموعة كبيرة من تلامذته وأتباعه، وتهديد حياته بالتصفية، بل وصدور حكم بإعدامه ـ كما ينقل ـ، مما اضطره إلى مغادرة العراق، وبعد خروجه من العراق كان يرعى النشاط الإسلامي، والعمل الحركي، وفي مرحلة لاحقة تبنى مواجهة النظام العراقي، وأصبحت حياته في خطر التصفية، كما اغتيل أخوه الشهيد السيد حسن في بيروت سنة ١٩٨٠م.

٢ـ حينما وجد في نفسه الأهلية والكفاءة للتصدي للمرجعية، ورأى أن ذلك يساعده على القيام بمهامه الرسالية، لم يتردد في طبع رسالته العملية وإعلان مرجعيته، مع أن ذلك كان يصطدم مع الأعراف السائدة في الحوزات الدينية، لأنه لا زال في مرحلة الشباب، سنة

١٣٩٠هـ، ولوجود من هم أكبر منه سناً وأكثر شهرة علمية.

وتوالت عليه الضغوط الهائلة بسبب ذلك، فلم يتأثر ولم يتراجع، بل استمر في ممارسة نشاطه ومسؤولياته، حتى اتسعت رقعة مرجعيته، وأصبح واحداً من أبرز المراجع المؤثرين في الساحة.

٣ـ وعندما استقر في إيران بعد قيام الجمهورية الإسلامية، وتشكلت لديه أراء وملاحظات، حول طريقة الحكم، وإدارة شؤون السلطة الإسلامية، وخاصة فيما يرتبط بالحريات العامة، وموقعية الفقهاء المراجع، والنشاط الحزبي السياسي، فإنه جهر بآرائه، وتحدث وكتب حولها العديد من الكتب والأبحاث، وكانت طروحاته آنذاك مخالفة للتيار العام في أوساط الحكم والثورة، والأجواء كانت مفعمة بالحماس الثوري ونصحه الكثيرون من معارفه وأصدقائه المخلصين، بأن يحتفظ بآرائه، وأن لا يجهر بها، فيتعرض للمضايقات والضغوط رسمياً وشعبياً، لكنه أصرَّ على ممارسة حقه في التعبير عن رأيه، ورأى أن وظيفته الشرعية تقتضي طرح تلك الآراء خدمة للإسلام والأمة، وتحمّل من أجل ذلك الكثير من المشاكل والضغوط الشديدة القاسية. والتي تقلصت فيما بعد، بحصول تطورات سياسية واجتماعية إيجابية في إيران، هي أقرب إلى ما كان يطرحه الإمام الشيرازي من أفكار

وآراء.

٤ـ من بداية الثمانينيات، وحيث المد الثوري الإسلامي على أشده، والحركات الإسلامية الجهادية في عنفوانها، كان الإمام الشيرازي يطرح سياسة اللاعنف، ويعارض أعمال العنف من اغتيالات وتفجيرات وما أشبه، ويؤكد على المعارضة السلمية بأشكالها المختلفة، وكان رأيه آنذاك مخالفاً للتيار الثوري الجهادي العارم في الساحة، واتهم من قبل بعض الجهات بأنه بآرائه يخدم مصلحة الاستكبار والأنظمة الحاكمة، لكنه استمر في التبشير برأيه عن طريق الحوار وتقديم الأدلة والبراهين الشرعية، والاستشهاد بوقائع التاريخ الماضي، وأحداث الحاضر المعاصر، ولم يتأثر بالتيار السائد، ولا الأجواء المحيطة، ولا الضغوط العنيفة.

المرجعية والجمهور:

غالباً ما ينحصر عطاء المرجعيات الدينية للمجتمعات الشيعية في بعدين رئيسين:

الأول: العطاء العلمي التخصصي في مجال الفقه وأصوله والعلوم الوثيقة الصلة بهما عبر التدريس، وكتابة البحوث، ورعاية الحوزة العلمية، لتربية طلاب العلوم الدينية الذين يفدون إلى الحوزة من مختلف المجتمعات الشيعية. مما يعني أن جميع العلماء في مناطق

الشيعة إنما يتربون ويتأهلون علمياً برعاية المرجعية الدينية.

الثاني: تقديم الفتاوى الشرعية وما يحتاجه المكلفون من مسائل دينية في أحكام العبادات والمعاملات، حيث يحرر كل مرجع ديني آراءه وفتاواه ضمن كتاب يطلق عليه (رسالة عملية). وغالباً ما تكون الفتاوى متقاربة بين المراجع، إلا في نسبة قليلة من المسائل، لذلك يكتفي العديد منهم، بالتعليق على فتاوى مرجع سابق، في موارد اختلافه معه، وتبني نفس رسالته العملية كما هو الحال بالنسبة لـ(العروة الوثقى) التي وضعها المرجع الديني السيد محمد كاظم اليزدي (١٢٤٧ـ١٣٣٧هـ)، كرسالة عملية تشتمل على فتاواه لمقلديه، ثم تعاقب العلماء بتعليقاتهم عليها، وقبلها كانت رسالة (نجاة العباد) محل تعليقات المراجع، والتي أصبحت في عهد المرجع الديني السيد أبو الحسن الأصفهاني، تحت عنوان (وسيلة النجاة) وتبناها بعده مراجع آخرون.

وفي الفترة الأخيرة تبنى العديد من المراجع الرسالة العملية المشتملة على فتاوى المرجع الديني السيد محسن الحكيم (١٣٠٦ـ١٣٩٠هـ) (منهاج الصالحين) مع دمج التعليق بالمتن.

بهذين البعدين يتمثل عطاء أغلب المراجع الدينيين للمجتمعات الشيعية، لكن عدداً محدوداً من المراجع كان

يجمع إلى هذين الأمرين ممارسة دور اجتماعي سياسي، أو الاهتمام بالمجال الفكري الثقافي.

وعادة ما يحصل ذلك في مركز الثقل الشيعي كالعراق وإيران، أما الأطراف وبقية المناطق الشيعية، فهي وإن كان جمهورها مقلداً للمرجعيات المركزية وخاصة في الفترات الأخيرة، بعد غياب المراجع المحليين، إلا أن دور المرجعية وتأثيرها في أوضاعهم السياسية والاجتماعية والثقافية محدود، وذلك لطبيعة الظروف السياسية، وعدم امتلاك المرجعية لمؤسسات وأجهزة إدارية.

نعم قد تكون هناك تأثيرات عامة غير مباشرة ناتجة عن تواصل هذه المرجعيات مع بعض الوكلاء، أو تفاعل نخبة من الجمهور مع آرائهم ومواقفهم.

لكن مرجعية الإمام السيد محمد الشيرازي تكاد تكون متميزة على هذا الصعيد، في التفاعل والتعاطي مع جمهور المقلدين في مناطقهم المختلفة، إذا استثنينا مرجعية الإمام الخميني من خلال ما أُتيح له من فرص التخاطب العام مع جماهير الأمة، بعد قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وما توفّر له من نفوذ وتعاطف شعبي كبير.

فمرجعية الإمام الشيرازي تمثل تجربة رائدة، ينبغي دراستها والاستفادة منها بتلافي الثغرات وتطوير الإيجابيات، لتشكل منهجاً في العلاقة بين المرجعية وجمهور

المقلدين في الأطراف والمناطق المختلفة، من أجل تفعيل هذه العلاقة، وتوظيفها في خدمة الحالة الدينية والمعيشية لهذه المجتمعات، وإخراجها من حالة الارتباط المحدود بأخذ الفتاوى ودفع الحقوق الشرعية.

ومن خلال معايشتي لهذه التجربة يمكنني الحديث عن بعض معالمها:

تربية الكفاءات العملية:

تهتم الحوزات العلمية تحت إشراف المراجع بتربية الكفاءات العلمية المتخصصة في الفقه وأصوله، دون أن يصحب ذلك برنامج لتربية الكفاءات العملية، بل ولا العلمية في سائر جوانب المعرفة كالتفسير والتاريخ والاجتماع، والاقتصاد وما أشبه، مما له وثيق صلة وارتباط بالفكر والتشريع الإسلامي.

والطاقات التي قد تنمو في هذه المجالات تعتمد على التثقيف الذاتي، والمبادرة الشخصية، وليس ضمن برنامج عام مقرر.

لذلك تظل الغالبية من طلاب الحوزات العلمية لا تمتلك كفاءات عملية تعينها على أداء رسالة التبليغ وقيادة المجتمع، كالخطابة والكتابة والإدارة، والبعض قد لا يكون له اهتمام وإلمام بالثقافة العامة المساعدة على التخاطب مع

الجمهور في مستوياته المختلفة.

وقد حصلت في الفترة الأخيرة محاولات لتطوير برامج الحوزة بهذا الاتجاه، وخاصة في حوزة قم العلمية يؤمل منها معالجة هذا النقص الخطير.

فالإمام الشيرازي كان من المهتمين جداً بهذا الجانب، فهو يشجع كل طالب علم في حوزته على الخطابة والتأليف والتأسيس والعمل الاجتماعي، وحين كنت منتسباً لمدرسة الرسول الأعظم التي أنشأها سماحته للدراسة العلمية في الكويت، كانت له محاضرة أسبوعية عصر كل خميس، خاصة بطلاب العلوم الدينية، كلها دفع وتوجيه وتشجيع على تحمل المسؤولية، باستعراض الأخطار التي تحيط بالأمة، وذكر تجارب الآخرين وأساليبهم في العمل، وتأكيد الثقة بالنفس، ومعالجة الإشكالات التي قد يواجهها العاملون في المجتمع.

كانت تلك المحاضرات بمثابة برنامج تربوي، ومنهج عملي، ووقود نتزود منه الهمة والنشاط والفاعلية والصمود.

وإلى جانب تلك المحاضرات كان في حوزة الإمام الشيرازي دروس لتعليم الخطابة والكتابة، وتكليف بمهام اجتماعية وتبليغية، وقد تطورت هذه الدروس فيما بعد

ضمن حوزة القائم في طهران، التي أنشأها تلميذه آية الله السيد محمد تقي المدرسي برعاية وتشجيع من الإمام الشيرازي.

بهذه المنهجية أصبح أغلب المتخرجين من مدرسة الإمام الشيرازي أصحاب كفاءات عملية بين كاتب وخطيب وصحفي وإداري وما أشبه.

وقد يكون ذلك عند بعضهم على حساب تقدم المستوى العلمي التخصصي، في الفقه وأصوله. لكن الإمام الشيرازي كان يرى أولوية جانب الكفاءات العملية في هذه المرحلة من حياة الأمة، على أساس أن الاهتمام العلمي له رواده والمتوجهون له بشكل طبيعي في الحوزات، والفراغ والنقص هو في الجانب العملي الحركي.

التثقيف والتوعية الجماهيرية:

ليس من عادة مراجع الشيعة أن يتخاطبوا مع الجمهور بشكل مباشر عبر الخطابة أو الكتابة، وإنما يلقون أبحاثهم العلمية التخصصية في الفقه والأصول، التي يطلق عليها (بحث الخارج)، على نخبة الطلبة من ذوي المستوى العلمي المتقدم، وكتاباتهم تنحصر في هذا المجال.

ويقتصر تخاطبهم مع الجمهور في حدود الإجابة على

الأسئلة والاستفتاءات المقدمة إليهم شفهياً أو كتبياً.

وقد يكون من أسباب ذلك ما يلي:

أ ـ إن أغلب المراجع في حوزة النجف العلمية لغتهم الأم هي الفارسية أو التركية والحديث باللغة العربية للجمهور ليس ميسوراً لأكثرهم.

ب ـ .ممارستهم الدائمة للغة العلمية بمصطلحاتها وعباراتها صعّبت عليهم استخدام لغة الخطاب العام.

ج ـ .تحفظهم ومراعاتهم للظروف السياسية حيث كانوا يبتعدون عن إبداء أي موقف أو رأي في الشأن العام.

د ـ .وجود رؤية في الوسط الحوزوي تدفع للاستغراق العلمي، والعزوف عن الانشغال بالناس، والنظر إلى الممارسات الاجتماعية كالخطابة والكتابة، باعتبارها لا تليق بالرتب العلمية المتقدمة.

هـ ـ .والعامل الأهم هو عدم وجود مشروع اجتماعي يتبناه المرجع فيتخاطب مع الجمهور من خلاله.

لهذه الأسباب وربما لعوامل أخرى، قلّ أن تجد لمرجع ديني اهتمام بالتخاطب المباشر مع الجمهور، ومن تلك القلة كان الإمام الشيخ محمد الخالصي والذي كان يقيم الجمعة في الكاظمية ويلقي خطبتيها، إضافة إلى إلقاء الخطب والمحاضرات في مختلف المناسبات، وإصدار الكتب

والنشرات التثقيفية العامة.

وكذلك الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء والذي كانت له خطابات جماهيرية، وكتابات توعوية عامة.

كما أن موقعية الإمام الخميني في قيادة الثورة والحركة الجماهيرية في إيران جعلته من أكثر المراجع تخاطباً مع الجمهور، بالتحدث إلى الناس مباشرة، وعبر وسائل الإعلام، وبإصدار البيانات، واللقاء بمختلف الشرائح والمستويات.

ومن بين المراجع المعاصرين تميّز الإمام الشيرازي باهتمامه بالتخاطب الدائم مع الجمهور، ففي كربلاء وحيث انطلق بنشاطه ومرجعيته كانت له خطابات كثيرة شبه يومية، ولقاءات مكثفة مع مختلف الطبقات الاجتماعية، وفي الكويت طوال فترة وجوده حوالي تسع سنوات، كان يلقي خطاباً عاماً ليلياً في تفسير القرآن، إضافة إلى خطابه الأسبوعي كل جمعة في المسجد. وفي قم كان له برنامج دائم في إلقاء الخطب على الوفود والمجموعات التي تزوره، من داخل وخارج إيران.

و في بعض الفترات كان يلقي المحاضرات دون حضور جمهور لتسجل بالفيديو والكاسيت وتنشر بين الناس، فكتابه (السبيل إلى إنهاض المسلمين) مثلاً كان في الأصل خمسين محاضرة ألقاها بهذه الطريقة.

ويعرف كل من زاره من الناس كيف أنه يستثمر كل لحظة في مجلسه للتوجيه والإرشاد والتوعية والتثقيف، ويتكلم مع كل زائر بحسب مستواه، وضمن موقعيته، وظروف بلده.

وعلى مستوى الكتابة والتأليف فإنه إلى جانب كتاباته العلمية التخصصية، حيث صنّف أكبر موسوعة فقهية في (١٥٠) مجلداً وكتب دورة في أصول الفقه، وشرحاً على كفاية الأصول، ورسائل الشيخ الأنصاري، والمكاسب، ومنظومة السبزواري، وتفسيراً للقرآن الكريم، وتوضيحاً لنهج البلاغة، وشرحاً للصحيفة السجادية، وغير ذلك من الكتابات العلمية.. إلى جانب ذلك أصدر كمية كبيرة من الكتب التوعوية التثقيفية الموجهة إلى جماهير الأمة، تقدر بالمئات، بين كراسات صغيرة، ومجلدات كبيرة، بعضها موجه للنخب المثقفة، وبعضها يخاطب الناشئين والعاديين، كسلسلة قصص الأنبياء، وسلسلة الفرائض الإسلامية، وسلسلة التعريف بالشيعة..

ومنهجيته في الكتابة تعتمد الوضوح وبساطة التعبير، دون تكلّف أو تنميق، وكثافة الاستشهاد بالنصوص الدينية من آيات وروايات، وحشد القصص والأمثلة الواقعية.

وما كان اهتمامه يقتصر على تأليف الكتب وطبعها، بل كان يهتم بالتوزيع والنشر، فلا يزوره أحد إلا ويقدّم له مجموعة من الكتب، ويشجع من حوله على التوزيع والنشر الدائم للكتب، وخاصة في المناسبات، حيث كان يأمر بتوزيع آلاف الكتب على الزائرين للإمام الحسين عليه السلام في كربلاء أيام المناسبات، كما يجتهد في إيصال أكبر قدر من الكتب التوجيهية للتوزيع على الحجيج، وكذلك أيام عاشوراء وسائر المناسبات.

وفلسفة السيد الشيرازي في الاهتمام بنشر الكتاب هي حاجة جمهور الأمة إلى الوعي، وضعف الاندفاع الذاتي من قبل الناس لتحصيل الكتاب، فلا بد من توفيره وبذله لجميع الناس لضمان أعلى نسبة ممكنة من القارئين والمستفيدين.

وقد تربى تلامذته واتباعه على هذه المنهجية، فأحدثت مدرسته موجاً ثقافياً فاعلاً في أوساط الأمة، حتى أنه يمكن القول أن جماعة السيد الشيرازي هم أنشط جهة في مجال العمل الفكري الثقافي، من خلال كثرة مطبوعاتهم كتباً ومجلات، وكثافة نشرهم وتوزيعهم في مختلف المناطق والبقاع.

المأسسة والعمل المؤسساتي:

ينظر الإمام الشيرازي إلى جمهور الناس بكثير من

التفاؤل والثقة، فالناس عنده طيبون، يختزنون في أعماقهم الولاء لدينهم، والاستعداد لعمل الخير وخدمة الدين، وعندهم إمكانات وطاقات هائلة، لكنهم بحاجة إلى الوعي الصحيح، والقيادة المخلصة الفاعلة.

ويرفض التصورات السائدة في بعض الأوساط من التقليل من شأن الناس، وانعدام الثقة بهم، وضعف الاعتماد عليهم، باعتبارهم عوامّ جهلة، لا يستجيبون ولا يبذلون ولا يثبتون.

ويستشهد لنظرته الإيجابية بالكثير من النصوص والروايات، والقصص والشواهد، التي تحكي عن ما حققته قيادات دينية وسياسية من إنجازات ضخمة، وأعمال كبيرة، عن طريق كسب الجمهور، وتفعيل حركته. ويتساءل سماحته دائماً! كيف يستطيع الآخرون من ذوي الأفكار المخالفة أن يحركوا جمهورنا، ويستقطبوه، ويدفعوه إلى الحركة والبذل بينما نعجز نحن المتدينين عن ذلك؟

إن الإشكال قد يكون فينا وليس في الناس، فعلينا أن نغيّر نظرتنا، ونجدّد أساليب عملنا، وأن تتسع صدورنا لتحمل المشاكل والعقبات، وسنرى بعد ذلك تجاوب الناس معنا، وإقبالهم علينا، والتفافهم حولنا.

ويؤكد الإمام الشيرازي أن نقطة البدء والانطلاق

هي المأسسة، لتشكل نواة للحركـة والعمـل، تحـت اسـم هيئة أو لجنة أو أي عنوان آخر، فالإنسان بمفرده لا يستطيع أن يحقق شـيئاً هامـاً، لأن العمـل الفـردي محـدود مبتـور، والبديل هو العمل المؤسساتي، فالفرد ينتهي أو يتراجـع، بينما المؤسسة تبقى وتتواصل.

ضمن هذا السياق قدم الإمام الشيرازي رؤية شرعية تأصيلية لانبثاق التنظيمات والحركات، وأقـام الكـثير مـن المؤسسات الدينية والاجتماعية والثقافية، وشجع تلامذتـه وأتباعـه علـى تشـكيل الهيئـات والتجمعـات والمراكـز في مختلف المجالات السياسية والثقافيـة، وفي مختلـف البلـدان والمناطق.

لأنها تشكل أُطـراً لاسـتيعاب الطاقـات وتفعيلـها، ولأنها تصبح بؤراً ومحاور في وسط الجمهور، وجسوراً بين المرجعية الدينية والناس.

هذه أبرز قنوات التعاطي والتفاعل التي شقها الإمام الشـيرازي لانفتـاح مرجعيتـه علـى الجمهـور، ولتوظيـف موقعيتـه كمرجـع ديـني في مشـروع نهضـة الأمـة، ورفـع مستواها العام.

دعوة للدراسة والبحث:

إن واقع المرجعية الدينيـة، والـدور المنتظـر منهـا، لم

يعد شأناً خاصاً يناقش خلف الكواليس، بل اصبح ملفاً مفتوحاً تتداوله وسائل الإعلام، ويجري بحثه في مختلف المجالس، وذلك ما تفرضه طبيعة العصر، وتقدم مستوى الوعي.

فلا بد وأن يتصدى الواعون المخلصون لدراسة هذا الموضوع ومعالجة قضاياه بموضوعية وشفافية، لتعرف الأمة موقعية المرجع الديني، والحقوق التي له، والواجبات التي عليه تجاه الدين والأمة.

وفي هذا السياق تأتي أهمية دراسة تجارب العمل المرجعي المعاصر، من قبل المراجع الإصلاحيين الذين تصدوا للشؤون العامة، لتكون أرضية تنطلق منها التجارب اللاحقة، ولتؤسس لنهج قيادي أكثر فاعلية وتواصلاً مع الجمهور.

ولما يمثله الإمام الشيرازي من حالة ريادية معاصرة في هذا المجال، فإن من المفيد جداً تسليط أضواء البحث على تجربته، والاهتمام بدراسة معالمها وتطوراتها، وانعكاساتها على واقع الجمهور الشيعي.

رحم الله الإمام الشيرازي، وأثابه خير الجزاء على ما بذل من جهود، وتحمّل من تضحيات وعناء في سبيل الله، ووفق الله العاملين للاستفادة من نهجه وفكره، وخلف على الإسلام والأمة أحسن الخلف والحمد لله رب العالمين.